

تفسير أبي السعود

سورة يونس 24 به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وإنما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي إلى ذلك في الأنفس والآفاق أو فعلوا الإيمان كما في يعطى ويمنع .

8 - وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم 8 .

أي اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأَنهم وأنجد دخل في تهامة ونجد .

8 - أوليك 8 .

المنعوتون بتلك النعوت الجميلة .

8 - أصحاب الجنة هم فيها خالدون 8 .

دائمون وبعد بيان تباين حالهما عقلاً أريد بيان تباينهما حساً فقل .

8 - مثل الفريقين 8 .

المذكورين أي حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات .

8 - كالأعمى والأصم والبصير والسميع 8 .

أي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وإن أمكن أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بالأعمى والأصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير والسميع لكن الإدخال في المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل والأنسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الإبصار أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو في قوله تعالى والأصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال ... إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وأياً ما كان فالظاهر أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الأحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامى الفريق الأول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر إليها بعين الاعتبار وتسامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وإنما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الأعمى أظهر وأشهر في سوء الحال من الأصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الإيمان والعمل الصالح والإخبارات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون

التشبيه تمثيلاً لا جميع الأحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي إليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في أحدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فإن اعتبار ذلك ينزع إلى كون التشبيه تمثيلاً بأن ينتزع من حال الفريق الأول في تصاميمهم وتعاميمهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعرى البصر والسمع فتخط في مسلكه فوقع في مهاوى الردى ولم يجد إلى مقصده سبيلاً وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيتهدي إلى سبيله وينال مرأته .

8 - هل يستويان 8 .

يعنى الفريقين المذكورين والاستفهام إنكارى مذكر لما سبق من إنكار المماثلة في قوله عزوجل أفمن كان على بيته الآية مثلاً أى حالاً وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان .

8 - أفلا تذكرون 8 .

أى أتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين أو أتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب